النشاط الاجتماعى
لوزارة الشؤون الاجتماعية

مطاعم الفقراء — نوادى العمال الرياضية — المقاهى الشعبية — الاخصائيون الاجتماعيون — شروط إنشاء العزب — توزيع الأراضى الحكومية

---

(١)

فى وقت من الأوقات كانت قصة " مطاعم الشعب " هى المقدمة بين الفصص التى تلوكها الألسنة وتنال اهتمام السلطات فى مصر ، وإذا اهتمت السلطات بمشروع ما ، كان هذا إيذانا باهتمام جماعه من الأثرياء ، يرقبون دائما مواقع رضى هذه السلطات !

ثم هبطت حرارة هـذا الاهتمام ، واسدل الستار أوكاد على قصة " مطاعم الشعب " فأقفل بعضها وعجزت ميزانية البعض الآخر عن تقديم وجبات الطعام لعدد كبير من الفقراء ، وهم أحوج ما يكونون لهذه الوجبات المغذية الرخيصة ، ولا سيما فى مثل الأوقات الحاضرة ، لولا أن قيض الله لهذه المطاعم اهتمام وزير الشؤون الاجتماعية بها فى هذه الأيام ، فكان هذا إيذانا بعودة الحياة اليها والتوسع فيها وخلقها خلقة جديدة .

فلقد زار معالى وزير الشؤون الاجتماعية مدينة الاسكندرية ، وفى يوم ٢٤ أكتوبر اجتمع معاليه مع رجال الأعمال بها للبحث فى شؤون العمال وما تقضى به الحال لمناسبة صدور القانون القاضى بالاعتراف بنقاباتهم من إنشاء جمعيات تعاونية لهم والاهتمام بتحسين أجورهم وتيسير حصولهم على ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية بأسعار معتدلة .

ثم طلب معاليه إلى رجال الأعمال المساهمة فى توسيع نطاق مطاعم الفقراء فى أحياء المدينة مساعدة لهم فى الظروف العسيرة الحاضرة ، فأبدوا هذه الرغبة مظهرين استعدادهم لتنفيذها ثم عاد فى ٢٩ منه واتفق معهم على إعداد مشروع لهذا الغرض تشترك فيه وزارة الشؤون الاجتماعية ومحافظ المدينة ومدير البلدية .

ودب النشاط كذلك فى القاهرة حول هذا المشروع مما يؤذن بنجاح الدعوة وتيقظ الهمة وتوفير عدد من المطاعم يكفى للمساهمة الحقيقية فى تغذية الفقراء بأثمان زهيدة مستطاعة .

وقد اتخذت الأهبة لافتتاح عدد كبير من المطاعم فى كل من العاصمتين يكفى لعدد من هم فى حاجة إليها ممن يقل إيرادهم عن جنيه ونصف الجنيه فى الشهر .

ومطاعم للشعب أو مطاعم الفقراء ضرب من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة الآن فى العالم المتمدن ، ومصر أولى بلاد العالم أن تأخذ بهذا الضرب من الخدمة .

ومن الأسف أن الذين يحتاجون إلى التغذية فى مصر هم المنتجون ، هم العمل والصناع وأمثالهم ممن يقوم انتاجهم على الطاقة العضلية فى الغالب ، هذه الطاقة التى تنتجها الكمية الغذائية ، والتى تنقص كلما نقص الغذاء ، فتنقص معها القدرة على العمل .

وهذه الطبقات المحتاجة إلى الغذاء فى مصر هى التى تخصص لها فى انجلترا جراية إضافية — بعد توزيع الطعام بالبطاقات — جراية لا ينالها الأثرياء والمترفون هناك ، لأن الأثرياء والمترفين لا ينتجون ، ولا يبذلون طاقة جثمانية كبيرة ، فيجب تبعا للمنطق وللعدل وللمنفعة أن يحصل العمال على الجراية الإضافية دون الطبقات العليا ، وهذا ما تصنعه بلاد الديمقراطية الحقيقية .

ومع تخصيص جراية إضافية للعمال هناك ، فان عمال الصناعات الثقيلة وعمال المناجم يتمتعون فوق ذلك بوجبة إضافية مجانية تنتظرهم على أبواب المصانع ، وعلى مداخل المناجم ، عن طريق جماعات الخدمة الاجتماعية زيادة فى رعايتهم ، وفى توفير الغذاء لهم ، وتمكينهم من بذل الجهد المطلوب منهم .

ونحن لا نطمع فى مثل هذه الحال ، ولكن أقل ما نطمع فيه أن تنتشر مطاعم الشعب بحيث تكفى جميع من يقصدونها من العمال والفقراء ليتناولوا فيها وجبة مغذية فى مقابل مبلغ صغير تحتمله ميزانياتهم الضئيلة . وفى سبيل ذلك الخير المحدود فليتنافس المتنافسون .

(٢)

والمشروع الثانى الذى يهتم به معالى الوزير ويعنى به عناية خاصة هو مشروع نوادى العمال الرياضية ، هذه النوادى التى يريد استخدامها أداة لتصحيح الأجسام ، وتنوير العقول ، وتهذيب الأخلاق ، بين هذه الطبقات العاملة التى يحبها ويعطف عليها ويحفل بكل شأن من شؤونها .

وقد بذل نفوذه فى دوائر الأعمال المصرية والأجنبية لينهض أصحاب الأعمال بمساعدة عمالهم فى إنشاء هذه النوادى وتجهيزها وإعدادها للانتفاع بها على الوجه المتقدم ، بدل أن يحط هؤلاء العمال إلى الحانات والمقاهى الفاسدة ، حيث يقتلون صحتهم الضعيفة ويبعثرون إيرادهم الضئيل ، ويزدادون جهلا وفسادا واضمحلالا .

ونوادى العمال — والنوادى الشعبية عامة — هى ضرب آخر من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة فى العالم المتمدن ، وهى هناك لا تقتصر على مجرد تمضية الفراغ تمضية لائقة ، بل هى عامل من العوامل الإيجابية فى ترقية العامل وتزويده بقسط من الثقافة أو قسط من التدريب الفنى ، مما لم يتهيأ له فى حياته العملية بسبب حاجته إلى العمل والكسب ، قبل تزوده بما يكفيه من الثقافة فى التدريب .

وفى كثير من هذه النوادى — بجانب الألعاب الرياضية والتسلية البريئة والمحاضرات العامة — حجرات خاصة للدراسة التثقيفية فى مختلف أنواع الثقافة النظرية والعملية ، وحجرات أخرى للتدريب الفنى على كثير من أنواع الفنون والصناعات ، بأجور زهيدة ، أو بغير أجر مطلقا .

فالنادى على هذه الصورة ملعب رياضى ، ومكان للتسلية ، ثم هو فوق ذلك مدرسة للتنوير والتثقيف ومشغل للتدريب والمرانة ، ومجال للرقى الأدبى والمادى ، ومصحة بدنية وروحية فى آن واحد .

وفى البلاد الأوربية والأمريكية تتنوع هذه النوادى ، فمنها أندية العمال ، ومنها أندية الصبيان العمال ، ومنها الأندية الشعبية .

فأما أندية العمال ، فهى إما أندية خاصة بطوائف معينة من العمال تنشئها النقابات الخاصة وإما أندية عامة لجميع الطوائف ينشئها اتحاد النقابات ، وهى فى كلتا الحالتين تعمل على أن يمضى المشتركون فيها أوقات فراغهم فى رياضة نافعة أو تسلية بريئة ، أو ثقافة مفيدة .

وأما أندية الصبيان العمال فتقوم بمهمة إضافية فوق ذلك كله وهى رعاية أخلاق الصبيان العمال الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، لأنهم فى هذه السن الخطرة من المراهقة عرضة لمختلف التيارات الفاسدة ، ثم هم فى الوقت نفسه فى حاجة إلى استكمال ثقافتهم ومرانتهم العملية .

وقد قام بإنشاء هذه النوادى فى انجلترا متطوعون متحمسون للخدمة الاجتماعية ، وأخيرا اتحدت هذه الأندية التى يبلغ عددها أكثر من ألف وسبعمائة ناد تضم نحو ١٦٠,٠٠٠ عضو ، وأصدرت الحكومة الانجليزية قانونا يعترف لها بشخصيتها المعنوية .

و يضم كل ناد مكتبة للمطالعة والاستعارة ، وغرفا خاصة بألعاب التسلية، ومطعم لتناول وجبات خفيفة بأثمان زهيدة ، وحجرات للتدريب العملى على الصناعات المختلفة ، وللثقافة النظرية والفنية .

وأما الأندية الشعبية العامة فهى مباحة لجميع من يقصدها من أفراد الشعب عمالا وغير عمال وأغراضها تلخص فى محاولة الترفيه عن الطبقات الشعبية بمختلف وسائل السمر والتسلية والعمل على رفع مستواهم الفكرى والخلقى بالمحاضرات والاطلاع بمكتبة النادى ، ودرس مشاكل الحياة الخاصة بروادها و بالحى الذى تنشأ فيه ، ومساعدة سكان الحى بالزيارات الصحية والإرشادات الاجتماعية والعائلية .

ونحن لا نطمع — مؤقتا — فى أن تصل النوادى المزمع تعميمها إلى هذا المستوى الرفيع الذى هيأته المساعدات المادية وقوة الروح الاجتماعية لنوادى انجلترا أو سواها ، ولكننا نطمع فى انتشار هذه النوادى وانتشار الرياضة البدنية معها وتمضية أوقات الفراغ فيما يفيد أو فيما يسلى تسلية بريئة ، والمستقبل كفيل بما بعد هذا من الخطوات الأخرى .

(٣)

وفى مصر أندية شعبية من نوع آخر ، وهى تلك المقاهى الشعبية ، التى يأوى إليها المئات كل ليلة من مختلف الطوائف العمالية وسواها ، ويقضون فيها أربع ساعات على الأقل كل يوم إن لم يكن أكثر من ذلك .

وقد رأى وزير الشؤون أن ينتفع بهذه النوادى فى مهمة وزارته الاصلاحية العامة ، وفى كلمة له ألقاها بالاسكندرية ، ذكر أنه فكر فى جعل هذه المقاهى مراكز اجتماعية لانهاض العامة ، وعلى هذا الأساس اتفق مع الأستاذ بيرم التونسى على وضع تاريخ مصر فى أسلوب شبيه بقصص " أبو زيد " يلقيها الشعراء على نغم الرباب فى المقاهى العامة .

فهذا وزير يفهم بلده حق الفهم ، وقد سبق أن تحدثنا عن فهمه هذا فى تحليل عوامل الحرية فى مصر عند الكلام عن إصلاح السجون فى عدد سابق ، وهذا الفهم نفسه هو الذى أوحى إليه أن يتجه هذا الاتجاه فى استخدام المقاهى الشعبية وهو أفضل اتجاه وأنفعه بالنسبة إلى جمهور العوام .

والذين عاشوا فى الجيل الماضى وفى أوائل الجيل الحاضر يذكرون تلك الصورة التى اختفت الآن مع الأسف صورة " الشاعر ذى الربابة " يعتلى المنصة الخشبية فى القهوة أو فى سوق القرية أو مصطبتها ، ويروح يلقى بصوته الجهورى قصص أبى زيد والزير سالم وعنترة ، مع حركاته التمثيلية التى كان المستمعون يتابعونها بعيونهم وقلوبهم . ويتأثرون بها أشد التأثر .

ولقد كانت هذه القصص مصدر ثقافة عقلية وتربية خلقية ، ومثارا للنخوة والمروءة والشجاعة ، وملهاة بريئة عن مفاسد شتى ، وسمرا ظريفا تجتمع له الحلقات ، وتنفض فى منتصف الليل لتنعقد فى الليلة التالية ، والجمهور كله آذان وكله أشواق .

وحين تؤرخ النهضة الأدبية والشعبية سيجد " الشاعر " وربابته مكانا فسيحا يحتله فى هذا التاريخ عند الحديث عن الثقافة الشعبية .

فإحياء هـذه السنة بعث لصورة محبوبة توارت من الجو المصرى ، وانتفاع بأحسن أدوات التسلية الشعبية فى بث الثقافة التاريخية القومية .

وقد بدئ بوضع قصة عن عصر محمد على الكبير ، وقصة عن عهد الثورة المصرية فنحب أن تتنوع القصص ، وأن تتناول عصورا مختلفة وأمجادا مصرية كثيرة . فعصر رمسيس وعصر صلاح الدين وسواهما من العصور الفرعونيـة والاسلامية جدير بالتسجيل على هذه الوتيرة وجدير بالنشر فى أوساط الجماهير .

ولنذكر أننا أمة تكاد تفقد شخصيتها لأنها تفقد تاريخها ، وتدرسه فى المدارس دراسة مسيئة الى الروح القومية ، دراسة سردية مفككة ، لا تعنى بتصوير الأمجاد المصرية ولا بانهاض الروح الوطنية .

فها هى ذى فرصة سانحة لتدارك النقص الواضح فى دراسة التاريخ بالمدارس ، ولتربية الروح القومية فى نفوس الجماهير ، بقصص البطولة التى تنهض الهمة وتثير النخوة ، وتشغل الفراغ بتأثرات روحية عالية ، وتستخدم المقاهى الشعبية فى الخدمة الشعبية على أيسر سبيل.

(٤)

وقد أخرنا الحديث عن" الاخصائيين الاجتماعيين" لأن شأنهم أعظم من هذه الشؤون جميعا ، ولأن وجودهم هو أساس الإصلاح الاجتماعى القائم على قواعد صحيحة . وفى هذا المعنى يقول معالى الوزير فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية :

" ان وزارة الشؤون الاجتماعية أنشئت لبناء المجتمع المصرى الذى يحتاج بناؤه الى أيد كثيرة وعدد عظيم من البنائين ، وهذا المجتمع يحمل كثيرا من أعباء الماضى ، ولذلك يجد المجاهدون فى سبيل اصلاحه مشقة عظيمة " .

ثم ذكر أن الأعمال الاجتماعية تحتاج الى كثير من المتخصصين ، وأن المنشئات الاجتماعية التى تديرها الوزارة كالملاجئ والسجون والاصلاحيات ، يعتورها كثير من النقص لعدم توافر الاخصائيين فيهـا ، وهو لذلك يعول كثيرا على عمل مدرستى الخدمة الاجتماعية فى الاسكندرية والقاهرة .

وهذه حقيقة واقعة، فالإصلاح الاجتماعى المنظم فى حاجة إلى الإخصائيين الاجتماعيين وإلى الدراسات الاجتماعية ؛ و إلى الإحصاءات والتجارب القائمة على الخبرة، و إلا أضحت أعمالا ارتجالية لا ترتكز إلى قواعد علمية .

وسيمضى وقت طويل قبل أن يتهيأ للوزارة عدد وافر من هؤلاء الإخصائيين .

لهـذا يرى معاليه إنشاء مدارس اجتماعية فى المديريات لتعليم مدرسى المدارس الإلزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ليكونوا مرشدين اجتماعيين متخصصين ، وأن فى مصر حوالى أربعة آلاف قرية و ٢٥ ألف عزبة وفى وسع هؤلاء المدرسين أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى الأقاليم و يوجهوا المجتمع وجهة جديدة .

والانتفاع برجال التعليم الإلزامى فى هذا الطريق ممكن وسهل وسريع، إلى أن يكثر عدد المتخصصين الاجتماعيين و يفى بحاجة المنشآت جميعا ، ولكن المعلم الإلزامى منقل بالدروس وشاعر بالغبن المـادى فى مرتبه ، فإذا أمكن الاتفاق مع وزارة المعارف على تخفيف عبء الدروس عن كاهله ولو قليلا ، و إذا أمكن أن يمنح مكافأة إضافية نظير قيامه بالخدمة الاجتماعية ، كان رسول إصلاح فى قريته سهل الإعداد ، ميسرا للنفع فى بيئته المحدودة ، وبذلك تتحول المدارس الإلزامية إلى مراكز اجتماعية فى المساء كما أشار إلى ذلك وزير الشؤون.

(٥)

ومن مظاهر الاتجاه الاجتماعى الجـديد فى التكافل الاجتماعى أن تعد وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعا يقضى بوضع شروط خاصـة لإنشاء العزب ، تتضمن وجوب إقامة دورات للمياه ومغاسل فيها ، و إقامة بعض المنشآت لتحسين حالة الفلاح كالمراكز الاجتماعية.

وهو اتجاه واجب و إن كان يقتصر على العزب الجديدة التى تنشأ بعد إصداره ، وكان من الحق والعـدل أن يشمل جميع العزب القـديمة كذلك تحقيقا لأبسط مظاهر التضامن الاجتماعى بين الملاك المنتفعين وعمالهم الزراعيين المنتجين .

ولولا ضعف الروح الاجتماعية فى مصر لمـا احتاجت الدولة إلى سن مثل هذا التشريع لأن مصلحة الملاك البعيدة وحدها كانت كافية لأن ينهضوا بهذا الإصلاح ، بعـد ما ثبت من التجارب فى مصر وأوربا أن الملاك وأصحاب الأعمـال هم الرابحون فى النهاية من كل إصلاح اجتماعى أو صحى فى محيط فلاحيهم وعمالهم .

فقد تبين بالتجربة أن المصانع التى تؤدى لعمالها بعض الخدمات الاجتماعية كإعداد المساكن الصحية والنوادى الرياضية وسواها ، تكسب من إنتاجهم المتزايد أكثر مما أنفقت .

وقد تبين من تجارب الجمعية الزراعية الملكية فى عزبتيها النموذجيتين أنها هى الرابحة من زيادة إنتاج فلاحيها وتوافر صحتهم ، وقوة مجهوددم فى أرضها .

ونتائج هـذه التجارب فى الخارج وفى مصر تجعلنا نتفاءل خيرا ونرجو ألا تقام العراقيل فى وجه الوزارة عند ما تهم بسن هـذا القانون العادل الكافل لمصلحة الفريقين : الملاك والفلاحين .

(٦)

ثم نتحدث عن أهم مشروع من مشروعات الدولة فى هذا العام وهو اتجاه وزير الشؤون إلى تقسيم الأراضى الحكومية الصالحة للزراعة ومقدارها مائة ألف فدان إلى ملكيات صغيرة كل منها خمسة أفدنة وتوزيعها على صغار الفلاحين .

وهو مشروع أكبر من أن نتحدث عن آثاره الطيبة فى هذا الحيز الضيق ولكننا نكتفى بهذه الاشارة العاجلة هنا على أن نعود اليه بالشرح فى كلمة مستقلة .

وجملة ما يقال فى هذا المشروع : أنه يساعد على خلق طبقة متوسطة من الزراع .هذه الطبقة التى تضمحل الآن وتتوارى لأن الملكيات الكبيرة تبتلعها بينما الطبقـة المتوسطة هى عماد الشعوب ووسيلة الاستقرار والتقدم .

وحين يتم هـذا المشروع نخلق من العـدم ٢٠,٠٠٠ ألف أسرة نرفعها من الحضيض إلى المستوى اللائق ، وهو عمل عظيم ولاشك ، جدير بالتسجيل فى تاريخ الإصلاح .

وعلى أية حال فإن فى هذا الاهتمام الذى يوزعه معاليه على كافة نواحى الإصلاح الاجتماعى ووسائله ما يبشر بالخير ويدعو إلى التفاؤل ، ونحن فى مرحلة يجب أن نأخذ فيها بكل وسيلة من وسائل الإصلاح ونتعلق بكل خيط من خيوط الرجاء ، والله الموفق لما فيه الخـير والفلاح .